الفكر الثّوري عند مفدي زكرياء مفهومه دوافعه مقوماته من خلال شعره

(دراسة تاريخية)

أ/ بوعافية منال/ جامعة بوبكر بلقايد تلمسان

boaafiamanel@gmail.com

ملخص

الثّورة أهم قضية تاريخيّة عاشها الشّعب الجزائري في تاريخه ، وقد قامت هذه الثّورة على عقيدة راسخة ومبدأ ثابت لا يرضى بالحلول الوسطية لنيل الحرية ، فآمن الشّعب بها و اتخذها سبيلا لتحقيق طموحاته، ولم يكن الرّصاص سلاحهم الوحيد بل كان الشّعر الثّوري الذي يستنهض الهمم ويفضح زيف الاستعمار ، فحملوا القلم كما حملوا السّلاح فكان لكلّ منهما ضحاياه وانتصاراته، وكان من هؤلاء مفدي زكرياء شاعر الثّورة الجزائرية ، فهو شاعر ثائر وسياسي ومناضل، غذّى بفكره الثّوار وخلّد الثّورة ، و كان معاديّا للاستعمار بكلّ أشكاله لذا سخّر شعره و وهب حياته في محاربته وإدراك الحرية والاستقلال التي يراها حقًّا من حقوق الشّعب، وقد ظلّ طيلة حياته ينادي باستقلال الجزائر والبلدان العربية والاسلامية وتوحيدها.وبيّنت أنّ وراء هذه الشّخصيّة دوافع صنتعه :الدّين الاسلامي و اللغة العربية، التّاريخ الجزائري و العربي و الاسلامي هذه التّي شكلت ركائز أساسية في بناء فكره الثّوري. و تُرجمت على أرض الواقع فانضم لأحزاب التّحرير الرّافضة للاستعمار، كمناضل سياسي، وشارك في صفوف ثورة التّحرير كمقاوم. و أبدع في شعره كلّه فكان مصباحا ينير درب الثّائرين، و لهبا حارقا يلقى على جسم الاستعمار

فيذيبه ويجعله سائلا مهينا، فلم تكن الثّورة عنده مجرد حدث يواكبه شعر وإنّما كانت موقفا ومطلبا ضروريا لتحقيق الحرّية الوطنيّة والمغاربية العربيّة وتخليص الأمّة الإسلاميّة من نير الاستعمار.

- الكلمات المفتاحية: الثّورة، الشّعر، الفكر الثّوري.

Abstract

The revolution is the most important historical issue experienced by the Algerian people in their contemporary history. This revolution was based on a firm belief and a firm principle that does not accept the compromises of freedom. The people believed in it and took a path to achieve its ambitions. The bullets were not their only weapon but revolutionary poetry supported them. I spoke about one of them, Mafdi Zachariah. Through his life, he was a poet of the Algerian revolution and a great historical figure. He is a revolutionary poet, politician and activist. He was fed by revolutionaries and revolution. He was hostile to colonialism. Its forms He has long been calling for the independence and unification of Algeria and the Arab and Islamic countries. He explained that behind this personality are his motives: Islamic religion, Arabic language, Algerian history, Arab and Islamic history, These were fundamental pillars in the construction of his revolutionary idea. And translated on the ground joined the liberation parties

rejecting colonialism, as a political activist, and participated in the ranks of the liberation revolution as a resistor. The revolution was not just an event accompanied by poetry, but was a position and a prerequisite for the achievement of national and Maghreb and Arab freedom and rid the Islamic nation of the yoke of colonialism.

- Keywords: revolution, poetry, revolutionary thought.

مقدمة

لقد أنجبت الجزائر رجالاً أحرارًا منهم شعراء أفذاذ صنعت منهم ثورة الفاتح من نوفمبر شعراء مقاومة اعتنقوا مبادئها وانضموا إلى صفوفها وناصروها بقصائدهم فكان القلم سلاحهم والكلمة رصاصهم والشّعر صرخة في وجه العدو الغاشم، ويأتي في مقدمة هؤلاء من حيث وفرة الإنتاج المستوحى من الثّورة والمخلد لها شاعر الثّورة الجزائري مفدي زكريا هذا الشّاعر الكبير الذي واكب ثورة الشّعب في جميع مراحلها وضحّى في سبيلها فقضى سنوات شبابه بين قضبان السّجون، ومن أعماق الزنازين أُرسلت ملاحمه الثّورية تتخطى الآفاق، وتوّقع خطوات الثّوار الأبرار في أعالي الجبال فكان رائدًا في شعر المقاومة وثائراً من ثوار الثّورة، عُرف بوطنيته ونزعته الثّورية.

ولما كان مفدي ذا فكر ثوري فإنّ هذا المقال محاولة للوقوف على أهم منطلقات ومقاومات فكره الثّوري ومراميه الوَحدوية. وسيكون البحث مقسم إلى:

أولا: مفدي زكرياء

ثانيا:الثّورة عند مفدي فكراً وموقفاً

ثالثا: مقومات ودوافع الفكر الثّوري عند مفدي من خلال شعره

أولا: مفدي زكريا.

1-مولده ونشأته:

-هو زكريا بن سليمان بن يحي بن الشّيخ صالح سليمان، ولد يوم 12 جوان 1908م الموافق ليوم الجمعة 12 جمادى الأولى 1326هـ ببلدية بني يزقن بمنطقة بني ميزاب أو ما يعرف حاليا بولاية غرداية ينحدر من أسرة آل الشّيخ الأمازيغية الأصل التي تعود جذورها إلى بني رستم مؤسسي الدّولة الرّستمية بتهيرت في القرن الثّاني الهجر[1]، وأمّا عن لقب "مفدي" فقد أطلقه عليه زميله بالبعثة الميزابية "سليمان بوجناح" سنة1926م[2]، ومنذ ذلك الحين أصبح "مفدي زكريا" لقبه الأدبي.

- وفي مسقط رأسه بدأ خطواته التّعليمية الأولى، حيث حفظ القرآن الكريم وتعلّم مبادئ اللغة العربية والفقه، وفي سنة 1922م توجه ضمن البعثة الميزابية إلى تونس لمواصلة دراسته، وبعدها عاد مفدي زكريا إلى الجزائر سنة 1926م مُحملا بزاد من المعرفة، فياضا بالرّوح الوطنيّة عاقداً العزم على النّضال في سبيل تحرير الجزائر وتوحيد المغرب الكبير[3]، وقد تضافرت عدة عوامل في تكوين شخصيته على الصّعيد الأدبي والثّقافي والسّياسي، ويمكن إجمالها فيما يلي:

أ-جوّ البعثة حيث تلقى دروسا في علوم الإسلام والعربية حّب الوطن فكان لذلك عميق الأثر في شخصيته.

ب-نشأته في بيت عمّه المناضل "الشّيخ صالح"، وتأثره بشخصيات كبار العلماء الذين كانوا معه في النّضال منهم" عبد العزيز الثّعالبي".

ج-تأثره بالجّو الوطني الحار الذي كانت تعيشه تونس، حيث شهداء، مواجهات، مجابها كبيرة بين القوة الوطنيّة والسّلطات الاستعمارية، وقد تبنّى هذه السّياسة(المواجهة) بعد عودته إلى الجزائر ومشاركته في النّضال[4].

- وهكذا نشأ مفدي زكريا مناضلاً ثائراً يتّسم بشيم الأبطال، وظّل يكافح في سبيل حرية وطنه وسخر قلمه للدّفاع عنه إلى أنّ لفظ آخر أنفاسه إثر سكتة قلبية على ثرى تونس التي طالما آوته واحتضنته، لتستقبل الجزائر جثمانه ويدفنه أهله في مسقط رأسه، وذلك يوم 17أوت1977م الموافق لـ: 3رمضان 1397هـ[5]، مخلفا إنتاجا عزيزاً ومتنوعاً نذكر منه:

- ديوان اللّهب المقدس، أمجادنا تتكلم، تحت ظلال الزّيتون، إلياذة الجزائر.

2-مصادر ثقافته وروافدها:

يعتبر التّراث العربي الأصيل بمصادره الغنية المعروفة من: قرآن كريم وأدب عربي بمفهومه الواسع شعراً ونثراً وتاريخاً إسلامياً، منبعاً ثقافياً أصيلاً لفهم مفدي وتشبّع به فانعكس أثره واضحاً في شعره.

1-القرآن الكريم:

-يعتبر هذا المصدر الدّيني من أغزر الرّوافد صباً في شعره، قد طرق مفدي في قصائده الكثير من المعاني والأفكار التي وردت في القرآن الكريم كالجهاد في سبيل الله وشرف الشّهادة، الالتزام بالأخلاق الفاضلة...إلخ، ومن أمثلة تأثر بالقرآن[6] قوله:

تأذن ربـــــك ليلـــــة قـــــدر وألقـى الستار على ألـف شـهر[7]

وقوله:

أيا عبـــد القـــادر كنـــت القـــدير وكـــان النضـــال طـــويلا عســـيراً

شـــرعت الجهـــاد فلبـــاك شـــعباً وناجـــاك ربّ فكـــان النّصـــيراً[8]

من خلال هذه الأبيات نجد تأثره واضحاً بالقرآن لغةً وتصويراً وموسيقى وأفكارً ومعاني.

2-الأدب العربي:

- اطّلع مفدي على الأدب العربي وشعره ونثره فتأثر بالشّعراء الفحول وقصائدهم، ومن القصائد التي تأثر
- بها قصيدة" السّيف أصدق أنباء من الكتب "لأبي تمام" ويظهر تأثيرها واضحاً في شعره:

السَّـيفُ أَصْـدَقُ لهجـةً مـن أحْـرف كتبـت، فكـان بَيَانُهَـا الإبْهَـامُ

والنّـار أَصْـدَقُ حُجَّـةً فاكتـبُ بهـا ما شئْت، تصعق عندها الأحْلَامُ

إنّ الصَّـــحَائفَ للصـــفائح أمرهـــا والحـبرُ حـرْبٌ، والكـلَامُ كـلَامٌ[9]

- إنّ المتأمل للأبيات لا يخفى عليه التّشابه الكبير بين القصيدتين في اللفظ والمعنى، وهو دليل بيّن على تأثر مفدي بشعراء العرب.

3- التّاريخ:

- برع مفدي في الغوص في أعماق التاريخ الجزائري والعربي الإسلامي وعرف منه، فأبدع في شعره، ولعل أبرز عمل يجسد هذا الإبداع عنده وتأثره بالتّاريخ هو "إلياذة الجزائر" حيث اعتمد فيها على المعلومات التّاريخية واتّخذ منها مادّة أساسيّة لبناء صوره الشّعرية، وقد استعرض فيها أهم أحداث التّاريخ الجزائري ابتداء من العصر الرّوماني حتى الاستقلال[10].

-ومن أمثلة هذه الصّور الشّعرية وصفة لمدينة قسنطينة المعروفة تاريخيا باسم(سرتا).

و وحّـــد سيـــرتا بأعطـــاف كـــاف و أولى الأمـــازيغ عـــزاّ و شـــأنا
صـــمود الأمازيـــغ عـــبر القـــرو ن غـــزا النـــيرات و راع النجومـــا
فـــــكم أزعـــــجوا نائبـــــات و كـم دوخـوا المـستبد الـظلوما[11]

ثانيا: الثّورة عند مفدي فكراً وموقفاً.

يدور المعنى اللّغوي للكلمة ثورة في المعاجم العربية حول مفاهيم هي: الهيجان والغضب والانتشار والظّهور. ويقال : ثار الشّفَقُ يثور ثوراناً إذا انتشرت في الأفق وارتفع، ويقال ثارت الحصبة بفلان ثوراناً انتشرت: وكذلك كلّ ما ظهر[12].

ويقال: ثار ثائره، إذا اشتعل غضبا[13].

والمعنى الاصطلاحي يشمل المعنى اللغوي ولا يختلف عنه، فالثّورة في الاصطلاح هي: تغيير أساسي في الأوضاع السّياسيّة والاجتماعيّة يقوم به الشّعب في دولة ما[14]، فهي الرّفض لوضع معين ومحاولة تغييره بالقوة والهيجان ضدّه والتّمرد عليه.

-وتعد الثّورة الجزائرية صورة من الرّفض التّام للاستعمار بكامل أشكاله منها الوضع المتردي الذي فرضه عليها وجاء هذا الرّفض بأسلوب حادّ اِتخذ من القوة وسيلة لإحداث تغيير جذري شمولي واسترجاع عزتهم، فالهدف الأساسي للثّورة الجزائرية يتلخص في تحقيق السّيادة و العزة والكرامة.

وحـــــرب للكرامـــــة في بـــــلاد مضـــت تفتـــك عزتهـــا غـــلابا[15]

لكنّ العزّة والكرامة ليستا إلاّ تحصيل حاصل لهدف أكبر، الهدف الذي لا يوازيه هدف ولا يقدر بثمن فهو الحق الذي لا تنازل عنه ولا بديل له.

نـــرى اســـتقلالنا عـــدلا وحقـــا فرنســـا لم تـــزل فيـــه تمـــارى

لـــه فـــوق الجمـــاجم قـــد صـــعدنا وفي تحقيقـــه خضـــنا الغمـــارا

فـــلا نرضـــى بـــه أبـــداً بـــديلا نعـيم الخلـد لـو نعطـى الخيـارا[16]

ومفدي زكريا يقف موقفه من هذه الثّورة فقد آمن بها ونادى لها بل وتنبأ بها قبل قيامها، ولما اندلعت ثورة التّحرير ارتمى بكلّ ثقله في أحضانها، وواكبها بشعر في جميع مراحلها وربط مصيره بها، والشعر والثّورة متعانقين لا يمكن الفصل بينهما عنده فكان نضاله سياسياً وفكرياً وما خبت جذوة إبداعه قط، سواء قبل اشتعال ثورة التّحرير أو في أثنائها أو بعد الاستقلال الوطني، فالثّورة في شعر مفدي ليست مجرد موضوع يطرقه أو حدث يواكبه بقدر ما هي موقف يقفه الشّاعر من مختلف القضايا وهذا من منطلق حسه الوطني، فالقارئ لقصائده يلحظ النزعة الثّورية التي نزعها مفدي فقد آمن بالثّورة المعتمدة على الدم والفداء التي بقي لها وفيا، ومناديا بها على كل منبر طيلة حياته مؤكداً أنّ لجزائر تسعى بثورتها إلى تحقيق استقلالها وحريتها. فيقول مفدي:

إن الجزائـــــر أمـــــة عربيـــــة تســـعى إلى اســـتقلالها وتجـــارى[17]

-ومفدي كمناضل سياسي ثائر يؤمن بالقوة وسيلة للتحرر، فلا يتكلّم إلا بلغة السلاح والقوة:

منطـق الرصـاص فمـا يبـاح كـلام وجـرى القصـاص فمـا يتـاح كـلام[18]

ويقول أيضا مؤكد على مبدأ "ما أخذ بالقوة لا يسترد إلاّ بالقوة"

وإذا الجزائـر بالسّـلاح اسـتعبدت فمصـيرها بسـلاحها يتقـرر[19]

-إنّ للنّار والسّلاح في شعر مفدي مكانة عالية ودوراً خطيراً لم تصل إليه أية وسيلة أخرى، ممّا يشكل عنده فلسفة واضحة عمادها القوة والإرغام.

- ولقد شكّل استقلال الجزائر وتحررها محورا أساسيا في حياة مفدي المناضل مفدي الشّاعر الذي آمن بالثّورة وتبناها قولا وعملا فجاء فكره ثوريا ترجمته قصائده ودواوينه، فالشّاعر كان يؤمن أنّه ما من سبيل إلى استرجاع الجزائر حريتها إلّا الثّورة والفداء، ولأجل ذلك نشط مفدي سياسيا وفكريا وقد جمع بين النّشاطين فلم يلهه أحدهما عن الآخر بل واكب الثّورة بنضاله وشعره حيث يقول:(حياتي الأدبية متصلة جذريا بنشاطي القومي وقد شرعت في قرض الشّعر سنة1925م أي في الثانية عشر من عمري[20])، فقد كان مفدي شاعرا مناضلا ثوريا، ولا يمكن أنّ يوصف شاعراً بالثّورية لمجرد مشاركته بالشّعر والأناشيد إنّما ينبغي أن يشارك الشّعب في صنع الثّورة حتى لا تكون أشعاره وأناشيده مفتعلة، بل تكون نتيجة مشاركة فعلية لتعطي صورة حقيقية للثورة وفي هذا المعنى يقول المناضل الإفريقي فرانس فانون[21]((لا يكفي أنّ ينظم الأديب أنشودة الثّورة ليعتبر مساهما فيها، عليه أن يصنع الثّورة مع الشّعب فتأتي الأناشيد بعد ذلك من تلقاء نفسها)). ولكون مفدي قد عاش الثّورة وعايشها واقعيا، فقد عبّر في قصائده عن تجربة(قضية) مُعاشة فعلا لذا نلمس في شعره الصّدق، ومن ثّم فمفدي بقدر ما عرف شاعراً عرف

سياسيا ومناضلا من الرّعيل الأول تجاه الثّورة، ومن أبرز ما يثبت ذلك أنّه وبمجرد عودته من تونس سنة1926م انطلق في نشاطه السّياسي من أجل تحقيق الاستقلال فانضم إلى جمعية طلبة شمال إفريقيا ودعم جمعية العلماء المسلمين المعادية للاستعمار إلاّ أنّ فكره الثّوري وما تلقاه من مبادئ النّضال في تونس جعلته في بحث دائم على اتجاه ثوري يناهض الاستعمار ويمكنه المجابهة الفعلية له وفي ذلك يقول:((دفعني حماسي الوطني الجارف فكاد يلقني الحزب الشّيوعي بالجزائر ولكني اكتشفت بعد جهد جهيد حركة استقلالية سرية تسمى "حزب نجم إفريقيا الشّمالية"، وكنت قبلها أبحث عن حركة وطنيّة جزائريّة تناهض الاستعمار وتتجاوب مع ما ألفته من ألوان النّضال بتونس...[22])).

وقد كان مفدي يؤمن بالقضية الوطنية ويسعى لنصرتها فكان ممثل الثّورة في كل مناسبة يحضرها فقد صال وجال الأقطار العربية معرفا بالقضية الجزائرية رافعا التحدي لنصرتها، مثّل الجزائر في عدة مهرجانات، ولقيا ترحيبا حاراً باعتباره ممثل الثّورة الجزائرية وقد كتبت عن ذلك "جريدة الصباح التونسية"، وقد احدث مفدي بكلماته عن الثّورة ضجة إيجابية حيث حقق نجاحاً باهراً في مهمته(التعريف بالقضية الجزائرية)التي كتبت عنها الصحف والمجلات العربية.

الصباح

يوم الخميس

الثمن ٢٠ مليما

طلبة شمال افريقيا بفرنسا يضربون عن الاكل

الصباح

جريدة المغرب العربي الكبير

لسان الحركات التحررية في افريقيا

مفدى زكرياء محل تكريم العرب من الخليج إلى النيل

شاعر الثـورة الجزائرية يشرح للعرب بطـولات الجزائـر

جريدة الصباح تغطي حفل تكريم الشاعر مفدي زكرياء من قبل العرب في العدد2922 بتاريخ 11جانفي 1962

ومن مواقف مفدي الثّورية اهتمامه بقضية المغرب العربي الكبير والوطن العربي الإسلامي، إذ لم يقصر مسلك الكفاح على تحرير وطنه بل تخطاه إلى استقلال بلدان المغرب العربي (تونس-المغرب) لأنّ الثّورة لا تتعلق بالأرض فقط، وإنّما هي دفاع عن

العربية وإثبات للهوية الإسلامية، ويؤكد مفدي على وحدة المغرب العربي فينشد هازئا ومسفها لأحلام وأعمال الاستعمار الذي يسعى لتفكيك الروابط العربية ووضع الحواجز برسم الحدود فيقول:

تونس اليوم والجزائر والمغرب شعب لن يستطيع انفصالا
وحدة أحكم الإله سُداها من يرد قطعها أراد محالا
نبتت من أب كريم وأمّ وسمت في الحياة عماً وخالا
نصبوا بينهم من حدود من الألواح جهلا وخدعة وضلالا[23]

-لقد آمن مفدي بالوَحدة المغاربية فلم تخلُ قصيدة من قصائده الوطنية في فترات كفاحه السّياسي من تعزيز هذه الفكرة، فقد كان يعتبر المغرب العربي وطنه وإنّ كان مفدي قد نادى بوَحدة وتحرير المغرب العربي قولاً(بشعره) فقد جسد هذا القول فعلاً، حيث عمل مع غيره من زعماء المغرب العربي و مناضليه سعياً لتحقيق هذه الوحدة المغاربية وتحريره من الاستعمار وتأكيداً على ثورة المغرب العربي لبناء استقلاله يقول:

إنّما المغرب الكبير بلاد عربي لا يقبل الانقسام
ثار يبني استقلاله بالدمّ الغا لي وتأبى شعوبه أنّ تضام[24]

-والوَحدة المغاربية ليست بمنأى عن الوَحدة العربية الإسلامية، فمفدي يعتبر الأولى خطوةً لتحقيق الثّانية حين يقول:

ووحدة مغربنا اليوم خُطو إلى وحدة المسلمينَ غداَ
بتوحيد بعض نوحد كلاً وهل ينكر الخبر المبتدا[25]

-ولم تشغل وحدة الأمّة العربية حيزاً في شعر مفدي فقط بل أخذت مكانا في نشاطه السّياسي فقد كتب سنة1934م، مقالا ألقاه في المؤتمر الرابع "لطلبة شمال إفريقيا" وهو مقال شديد اللهجة، ثوري النّظرة والموقف سماه "عقيدة التّوحيد"[26]، وما قصده بالتوحيد هو وحدة الأمة العربية في شمال إفريقيا وقد جاء فيه:

آمنت بالله رباً و بالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً وبالكعبة قبلة وبسيدنا محمد نبياً ورسولاً، وبشمال إفريقيا وطنا واحداً لا يتجزأ.

-إنّ القارئ لهذه البنود وغيرها مما جاء في الخطاب يتضح له جلياً إيمان مفدي بوَحدة الأمّة العربية مغربها ومشرقها، وهو إيمان نابع من عقيدته الإسلامية لقوله تعالى:(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)[27]

ممّا سبق يتضح لنا أنّ مفدي صاحب فكر ثوري تجسد في أقواله وأفعاله(شعره ونضاله) انطلاقا من سعيه لتحقيق حريّة وطنه وصولا إلى تحقيق استقلال الأمة العربية وتوحيد صفوفها.

ثالثا:مقومات ودوافع الفكر الثّوري عند مفدي من خلال شعره.

- ارتكز الفكر الثّوري عند مفدي على عدّة مقومات تجسدت من خلال شعره ويمكن إجمالها فيما يلي:

1- مناهضة الاستعمار:

لا أحد يجادل في أنّ مفدي كان شخصية وطنية ثورية بارزة، ونتاج بيئة أنجبت العديد من الزّعماء والوطنيين، فالجوّ العائلي الذي نشأ فيه بوادي ميزاب مسقط رأسه، بالإضافة إلى

الجوّ التونسي الذي عاش فيه كان له الأثر الكبير في توجيه مفدي هذا التوجه الثّوري، فقد تغذى فكره على مبادئ الثّورة الحقيقة وعرف معنى الوطنية الحقة حيث عاش في جوّ تردد فيه كلمات الحرية فصنع منه ذلك رجلاً وطنياً ثائراً وشاعراً لا يتكلم إلاّ بلغة الرّصاص ولا يغيب عن البال أنّ ولادة الشّاعر كانت في أحْلك حقبة في تاريخ الجزائر، إذ كانت حينها تخضع لوطأة الاستعمار الفرنسي الغاشم، وفي هذه البيئة وفي ظل تلك الظروف الصعبة نشأ وترعرع.

-وقد عُرف مفدي طيلة حياته بموقفه الثّابت في رفض الاستعمار بكلّ صوره ومختلف سياساته، فقد رفض الرّضوخ للاستعمار كما رفض رفضاً تامّاً اللجوء للحلول السّلْمية التي كان يدرك تمام الإدراك بأنّها مجرد لعبة أخرى من ألاعيب المستعمر، "ومن هنا راح مفدي يؤكد تأكيداً قوياً على المجابهة الوطنية للمستعمر دون مواراة أو خوف،ويرفض قاطع لكل مظاهر المسالمة والمصالحة، وقد تجلى ذلك عنده منذ الثّلاثينيات وبالتّحديد مع بداية نشاطه السّياسي حين انظم إلى" جمعية شمال إفريقيا"، حيث برز فيها كشاعر وناشط سياسي"[28]

-و كدليل على دعوة مفدي زكريا الّصريحة لمواجهة الاستعمار وإيمانه بمبدأ المجابهة نسوق الأبيات التالية من قصيدته"أهلا بنسل الفاتحين ومرحبا" والتي ألقاها في مؤتمر جمعية الطلبة بتلمسان سنة 1935م ، حيث يقول:

إنّ الحيـــاة علـــى الصـــغار جريمـــة إني رأيـــــت الصـــــاغرين إمـــــاء
وطـــني بروحـــي أفتـــديك ومهجـــتي ودمـــــي الشـــــريف مـــــبرة ووفـــــاء
عهـــد علـــيّ مـــدى الحيـــاة مقـــدس يـــــذكي عروقـــــي نخـــــو وإباء
حســـبي فخـــاراً في حيـــاتي إنـــني أغـــدو علـــى وطـــني العزيـــز فـــاء[29]

إلى قوله:

إنّ الجبـــان علـــى الـــبلاد مصـــيبة عظمـت، فيـا أرض ابلعـي الجبنـاء[30]

– يتبين في هذه الأبيات أنّ مفدي لا يرضى إلاّ بلغة القوة فكأنه يقول أنّ ما أخذ بالقوة لا يسترد إلاّ بالقوة، فقد كرّر كلمة "فداء"أكثر من مرة، وهذه الكلمة توحي بمعنى التّضحية في سبيل الوطن بدل الخوف والجُبن والذّل فهو يعدّ الجبان الذي يسعى إلى سياسة السّلم والصّلح مع عدو غاشم ماكر ينكل بالشّعب اشد تنكيل يعده مصيبة على الحياة وثقل على أرض الجزائر وأبنائها الأبطال، كما نجده يفخر بفدائه لوطنه في البيت الرابع.

– إنّ رفض مفدي للاستعمار وسياسته العقيمة وللحالة المتردية التي تعيشها الجزائر في تلك الفترة وتمرده على هذا الواقع المرير جعله ينحو منحى ثوري في كل أشعاره، فقد فرضت الثّورة نفسها على شعره فصبغته بنزعة ثورية، ولم يتوقف نشاط مفدي السياسي عند جمعية الطلبة بل ظل في هذه الفترة يبحث عن المجال الثّوري الذي يمكنه من نقل رؤيته الثّورية إلى"أنّ انضم إلى"حزب شمال إفريقيا" الذي وجد فيه مبتغاه، وبرز في الميدان السّياسي عظواً فعالاً وزعيماً مناضلاً، ممّا جعله يتقلد مسؤوليات شتى في هذا الحزب حيث أُختير في سنة1936م رئيسا للجنة التنفيذية، وكان شعره سلاحاً فعالاً في مجال الإعلام والدّعاية للحزب والدّعوة جهاراً إلى استقلال الجزائر. ففي نوفمبر سنة1936م ينظم النّشيد الرسمي للحزب" ويقول فيه:

فـــداء الجزائـــر روحـــي ومـــال ألاَ في ســـــبيل الحريـــــة

فليحـــــي حزب(الاســـــتقلال) (ونجـــــم شمـــــال إفريقيـــــا)

وليحـــي شـــباب الشّـــعب الغـــالي مثـــال الفـــدا و الوطنيـــة[31]

- إنّ هذه الأبيات بكلماتها ومعانيها وموسيقاها تدعو إلى الثّورة وبذل النّفس والمال في سبيل الاستقلال وتحقيق الحرية وهذا لا يتأتى إلاّ بالثّورة التي لطالما نادى بها زكريا.

"وفي مارس 1937م تأسس حزب الشّعب خلفاً لحزب النّجم الذي سبق أنّ حلته السّلطات الاستعمارية واختير مفدي أمينا عاما له، كما ترأس "جريدة الحزب" وعرف بمقالاته النّارية وأشعاره المجلجلة الدّاعية للنّضال علنا نتيجة ذلك ألقي القبض عليه في جويلية 1937م وظل في السجن إلى أوت 1939م، ولكن رغم ذلك لم ينطفئ حماس مفدي ولم تفتر وطنيته فظل يكتب وهو داخل السجن المقالات السياسية والقصائد الثّورية ويرسل بها خفية لتنشر بالصحف التونسية. "[32]

-ظل مفدي كغيره من مناضلي الجزائر يدافع عن الوطن ويستنكر الاستعمار ويؤمن بالثّورة إيماناً شديداً، ومن صور مناهضته للاستعمار رفضه لمشروع(بلوم فيت) المتمثل في سياسة الإدماج والفَرْنسة حيث يؤكد على أنّ الجزائر ليست فرنسية ولن تكون كذلك أبدا ويدل على ذلك قوله:

فلســـــنا نرضـــــى الامتـــــزاج ولســـــنا نرضـــــى التجنيســـــا
ولســـــنا نرضـــــى الانـــــدماج ولا نرتـــــــد فرنسيســـــــا
رضـــــينا بالإســـــلام تاجـــــا كفـــــى بالجهالـــــة تدنيســـــا
فكـــــلّ مـــــن يبغـــــي الاعوجـــــاج رجمنـــــــاه كإبليســـــــا[33]

ونظرا لأنّ فرنسا لم تألف هذه الحدة والجرأة في المواجهة من قبل الجزائريين من قبل لذا راحت تلاحقه فكان مفدي ضيفا مرحبا به على الدّوام في السّجون الفرنسية، لايخرج من هذا إلا ليدخل ذاك بدعوى تحريضه على التّمرد والثّورة.

-كل هذا وغَيْرُهُ جعل مفدي يتوجه رغبة أو إلزاما إلى الثّورة ويتبناها فكراً ومبدأ وعقيدة وشعراً وهذا الأخير يصوره الفكر الثّوري عنده ويعكس ملامحه وكيف لا وهو الشّاعر الذي ولد من رَحمْ الثّورة وفي غياهب السجون وأشد المحن التي عاشتها الجزائر.

2-الدّين الإسلامي واللغة العربية:

- إذا نظرنا إلى قصائد مفدي وجُلنا في دواوينه فإننا سنلمس الرّوح الإسلامية التي يطفح بها شعره كما نلمس فصاحة اللغة وقوتها، فقد شرب مفدي من الثّقافة الإسلامية حتى شَرقَ بمائها وتشبّع باللغة العربية حتى أتقنها فلطالما اعتبر"العربية أمّاً والدين الإسلامي أبّاً[34]"، ولا عجب في ذلك فقد شرب تعاليم الدّين الإسلامي وهو ما يزال طفلا يتردد على الكتاتيب في مسقط رأسه حيث نشأ وترعرع في وادي ميزاب مهدّ الدّين والعلم والأدب " فحفظ القران الكريم ولم يبلغ الرابعة عشر سنة، وكان يُحافظ على مُذاكرته ويحرص على الحضور بمسجد بلدته(بني يزقن) كلما حلّ بها وكان إجلاله للقرآن عظيماً[35]"، بالإضافة إلى أنّه تهيأت له الأسباب للاتصال بجمعية العلماء المسلمين فاحتك برجالها الفضلاء وفحولها الأدباء، كما قرأ للشّعراء العرب الفحول واستفاد من الأدب العربي ابتداء من المتنبي وانتهاء بالشّابي مروراً بابن زيدون وشوقي[36]" ممّا زاد من فصاحته وذلاقة لسانه.

وقد كان مفدي يرى أنّه لا نهضة أدبية أو فكرية ولا سياسية أو اقتصادية بدون الّدين الإسلامي، وأنّه لا يروي ظمأ هذه الأمّة إلاّ عبها من هذا المنهل العذب الذي لاينضب ولا يضعف حين قال:

بـــني وطـــني هـــذي الحيـــاة شـــريفة لجُوا بابها واستصحبوا المنهلالعذاب[37]

وقد آمن مفدي أنّ الدّين شريعة حياة ونظام لترقية الأمم والمجتمعات البشرية والخروج بها من الظلمات إلى النّور، فالأمم في نظره لا ترقى ولا تسود إلاّ في قربها من دينها وتوكئها عليه، وتنفيذ أحكامه ووصياه،ومن هذ المنطلق راح مفدي ينفذ حكم الله في الجهاد، فكان جهاده للوطن جهاداً في سبيل الله، وهذا ما يؤكده بقوله:

نهضـــت علـــى ذات الإلـــه مناضـــلا ولـــيس لغـــير الله ســـعي وإقبـــالي
وقمت وسيف الحق في الكون ساطع لتهـــذيب أرواح وتقطيـــع أوصـــال[38]

ويؤكد مفدي على أنّ الدّين أساسي في نصرة الوطن وأنّه نهل من حوض الدّين وهاهو يقول:

شـــربت العقيـــدة حـــتى الثمالـــة وأســـلمت وجهـــي لـــربّ الجلالـــة[39]

كما يعزو مفدي الانتصار الذي تحقق على يد المجاهدين الجزائريين إلى الإسلام ، الذي كان الشّعب الجزائر يسعى إلى العيش الكريم في ظلاله بتطبيق شريعته، وهو ما ردده شعره كلمة ومعنى حين قال:

ولـــــولا الوفـــــاء لإســـــلامنا لمـــاّ قـــرّر الشّـــعب يومًـــا منالـــه
ولـــــولا اســـــتقامة أخلاقنـــــا لمـــاّ أخلـــص الشّـــعب يومـــا نضـــاله
ولـــــولا تحـــــالف شـــــعب ورب لمـــاّ حقـــق الـــرّب يومـــا ســـؤاله[40]

-هنا يرسم مفدي صور الانتصار الحق التي يريد إثباتها من خلال شعره فحرب التحرير الجزائرية امتداد لحروب الإسلام ضد الصليبية واليهودية.

-إنّ فكرة المقاومة والنّضال والإطاحة بالجبروت والطغيان التي اعتنقها مفدي منذ يفاعته ومن أجلها عُذب وسُجن ولُوحقَ ونفي تعكس فكره الثّوري المتغذي عن الّدين الإسلامي الذي يدعو إلى محاربة الباطل ونصرة الحق والدّفاع عن الوطن والتّضحية في سبيله.

-إنّ نظرة مفدي للدّين الإسلامي قائمة على أسس السّيادة، فقد أبثت التّاريخ على مرّ العصور أنّه لا سيادة ولا بقاء لأمة بعدت عن دينها وفرطت في قيمه وتخلت عن أصالتها، ويرى مفدي أنّ بعد الأمة عن دينها سبب في شقائها وتعاستها فهذا البعد هو ما يؤدي إلى زوالها وفي هذا الصدد يقول[41]:

هـــو الـــدّين يغمـــر أرواحنـــا بنـــور اليقـــين ويرســـي العدالـــة
إذا الشّـعب يومـا أخلـف عهـد الإلـه وخـــان العقيـــدة فارقـــب زوالـــه[42]

وفي نفس السياق يقول[43]:

ربــوا نفوســكم علــى خلــق الهــدى إنّ شـــــئتم حريـــــة وعـــــلاء
والـــدّين إنّ الـــدّين أعظـــم عـــدة فبدونـــه تغـــدوا الشـــعوب هبـــاء[44]

وفي هذا دلالة واضحة على إيمانه الرّاسخ بأنّ الدّين هو الوسيلة للنّهوض بالأمّم، وفي قوله صورة جلية للفكر الثّوري حيث نجده يدعو إلى الأخلاق الفاضلة ويثور على الباطل والغي وعن كل خلق مشين فثورة مفدي لم تكن ثورة أرض فحسب بل كانت أيضا ثورة دين ولغة وتاريخ وثورة على كل فساد وظلم.

-أمّا اللغة العربية فقد عدّها مفدي ركيزة أساسية من ركائز الوطنية وأنّها قديسة من قدسيات الشّعب الجزائرية ودليل على انتمائه الثّابت لدينه، حيث يرى أنّ اللغة والدّين لا يفترقان فهما الوجه الأصيل للجزائري وهما أساس وحدته ويثبت ذلك قوله:

إنّ شـــعبا علـــى العروبـــة وإلاســـ لام قـــد لا يضـــيق فصـــالا[45]

وقد جاء في البند الثالث من"عقيدة التوحيد" ما يؤكد ذلك، وفيه يقول مفدي:

الإسلام ديننا والعربية لغتنا.....

-من الواضح البيّن كيف يستقي مفدي فكره من محيط عقيدي تربي عليه منذ الصغر وقد ظل ينهل من هذا المنبع المتمثل في التّراث الدّيني والتّربية الإسلاميّة التي تجلت في موافقة وآرائه وشكلت منطلقا ومقوماً أساسيا من مقومات فكره الثّوري.

3-التّاريخ الجزائري العربي الإسلامي:

شكّل التّاريخ الإسلامي قديمه وحديثه حجراً أساساً ومقومًا هاماً في بناء الفكر الثّوري عند مفدي، "فقراءته لتاريخ الأبطال من عظماء الأوطان من أمثال "ابن تومرت"، وشغفه بالآداب منذ طفولته واتصاله المبكر ببعض الشعراء الوطنيين من أمثال أبي القاسم وغيرهم من دعاة الإصلاح والتّحرر في المغرب العربي والمشرق، عوامل دفعت بالشاب مفدي إلى الانخراط في معركة التّحرير الوطني، فساهم مساهمة فعالة قيّمة وملحوظة في توعية الشّعب الجزائري بحقيقة تاريخه وواقع وجوده، وبثَّ فيه من نفح البطولات والأمجاد تموجات تهز إحساسه بالذات والكرامة وتحثه على التطلع لاستشراق المستقبل واسترداد الأمل، ومن ثمّ التمرد والتوثب لاسترجاع الحق السليب[46]".

- وقد تأثّر مفدي تأثراً كبيراً بتاريخ الأجداد الذي كثيراً ما يحنّ إليه فيأخذه الحنين الجارف إلى الماضي الحضاري التليد وتذكر أيام العزة والسيادة وهذا النزوع تعويض عن الواقع المؤلم الذي أصبح عليه الجزائريون المستَعْمرون. يقول مفدي في هذا الصدد:

هو الدهر في قوس الطوارق ما أبقى فلله ما لّقيت منه وما ألقى
وتلك عهود ما ألذ كؤسها لو أنّ بريق السعد كان بها صدقا
رعى الله أيام لنا ولياليا أبى الله إلاّ أنّ تعد مع العنقا
أو يقات عزّكم خلعنا مطارف علينا، نسيات مفوقة بلقا
عهود رشفتا من سلافة ثغرها نمير معالينا فتيممنا عشقاً
وعهد تقضى فاستهلت عيوننا بمخضل دمع ظل مسترسلا طلقا[47]

- إنّ كان مفدي في هذه الأبيات يتحسر على أيام العزّ ويبكي حاضره(الواقع الجزائري والعربي)، فهو رغم ذلك لا يذكر الماضي ليبكي أطلاله، كما يتذكر العاشق مرابع هواه، أو كما يحنّ المرء على أيام صباه، فلا يتجاوز التأسف والتّحسر والندم، وإنّما يذكره ليقارن بينها وبين حاضره، وفي استخراج العبرة من الماضي وعرضها على الحاضر ما يجعل الإنسان على ووعي بمصيره ساعيا للعمل من اجل مستقبله، ويظهر ذلك في قوله :

رتعنا زمانا في أرائك عزة نعب نعيم الدّهر من كأسه عبا
و نمرح في ظل السعادة وارفا نشاوى كأنّ الدّهر واعدنا حبا
تخذنا من الأيام جلباب راحة و من يرتد الأيام أعارته لاريبا
فيا بؤس كاسات بها السّم كامن و يا خسر أيام أرتنا بعدها حربا

فيـــا ويحهـــا ذكـــرى تمـــزق أنفســـاً يعـز عليهـا أنّ تـرى حقهـا يُسـبى[48]

❖ إنّ التّوجه الثّوري عند مفدي يقوم على النّظرة التّاريخية العميقة ويتغذى من تاريخ الأسلاف الذين حققوا الانتصارات ورفعوا راية الإسلام، يرى أنّ الشّعب لا يمكن أنّ يحقق سيادته إذا كان غافلا عن تاريخ أمجاده وأجداده قاطعاً أواصر حاضره بماضيه جاهلا به فلا حاضر لمن لا ماضي له.

التّاريخ الإسلامي يزخر بالأحداث والدّروس والعبر المفيدة التي يمكن أنّ يستفيد منها الشّعب بطريقة تخدم حاضره وتتوافق معه، ومن هنا نجده يتخذ من أبطال الفتح الإسلامي قدوة يضرب بها المثل عندما يتعلق الأمر بالاستشارة أو الاعتداد بالأمجاد أو استنهاض الهمم.

وقد ورد في شعر مفدي أكثر من مرة أسماء الأبطال ومآثرهم نذكر منهم: خالد بن الوليد وعقبة بن نافع وطارق بن زياد وصلاح الدين الأيوبي وغيرهم ومن صور توظيفه لأعلام التاريخ الإسلامي توظيفه لشخصية

(عقبة بن نافع)[49]، وحيدر حيث يقول:

والشّـــعب أســـرع للشـــهادة عنـــدما ناداه (عقبـــة) للفـــداء (وحيـــدر)[50]

إنّ هذا البيت يؤكد أنّ مفدي ينظر للثّورة الجزائرية من النّاحية التّاريخية على أنّها فتح إسلامي جديد، فشعبها أعلن الثّورة وطلب الشهادة تلبية لنداء(عقبة)و(حيدر)، القائدان العربيان المعروفان بتاريخهما العريق وبطولاتهما الإسلامية . فقد دعيا إلى الجهاد لتحرير الجزائر من ظلم المستعمر الكافر الغاشم، فكأنه يشد نظرنا بهذا الربط بين الجيلين إلى الشبه بين الحاضر الماضي وبين الاستعمار الفرنسي والروماني القديم.

وكما تأثر مفدي بأبطال التاريخ العربي الإسلامي فقد تأثر كذلك بأمجاد الجزائر وتأثر ببطولاتهم فكانوا له ملهمين بالجهاد والثّورة في سبيل الحرية

أشرشـــال...هلاّ تـــذكّرت يـــوبا؟ ومـــن لقّبـــوا عرشـــك القيصـــرية؟
ومـــن مصـــروك فنافســـت رومـــا؟ وشـــرفت أقطـــارنا المغربيـــة
لمـــاذا يلقـــب يـــوبا بثـــان؟ أمّـــا حقّـــق السّـــبق في المدينـــة؟
أمّـــا كـــان أول مـــن خـــطّ رَسْمـــا لوجـــه جزيرتنـــا العربيـــة[51]

-لقد درس مفدي التاريخ العربي الإسلامي وقرأ عن أبطاله وتأثر بهم فراح يسير على خطاهم في رفع راية الجهاد والنّضال في سبيل الحرية وتحقيق العدالة ونصرة الدّين الوطني، كما اتخذ من هؤولاء الأبطال ومن هذا التّاريخ العريق وسيلة لدفع الشّعب إلى الجهاد،فمفدي إذا كان بذكره لأبطال التاريخ العربي و الإشادة بانتصاراتهم والتذكير بالوقائع الكبرى يهدف إلى حثّ الشّعب ولاسيما الشّباب الذي يرى فيه نهضة البلاد وتحررها إلى الاقتداء بهؤلاء الأجداد الذين كانوا يتخذون من الدّين طاقة روحية تدفعهم إلى التّضحية والفداء ومن ثمّ يثير فيهم مشاعر الإباء والاعتزاز.

-وعليه فإنّ الفكر الثّوري عند مفدي وإيمانه الشّديد بالثّورة الجزائرية تغذى على التاريخ الإسلامي العريق، فكان فكراً ثورياً من منطلق تاريخي هذا التاريخ الذي كان له الأثر الواضح في البناء العام للأمة العربية.

4-البعثة الميزابية: (1922-1926)

يشكل هذا العامل منطلقا أساسياً في تكوين شخصية مفدي الثّورية وتكوينه السياسي والثقافي، فقد قضى مفدي أجمل مراحل طفولته وشبابه بتونس حيث تعلم

بمدارسها الابتدائية ثمّ بالجامعة الزيتونية، وسكن بحاراتها[52]" وتلقى على يد مشايخ البعثة التعليمية دروسا في العقيدة وحب الوطن كما ورث عنهم الخصال الحميدة وتحلى بصفات النبل والشجاعة والمروءة والفروسية"، ذلك أنّ هؤولاء المشايخ كانوا يقدمون النموذج العلمي لتلامذتهم فقد كانوا مناضلين منخرطين في صفوف الحزب الحر الدّستوري من هؤلاء المشايخ نذكر أبي إسحاق إبراهيم أطفيش، وأبي اليقضان إبراهيم ومحمد الثميني[53].

وقد كان مفدي في هذه الأثناء يقيم في بيت عمّه"الشيخ صالح"و الذي كان يقوم بنشاط سياسي مكثف تمثل في تأسيس الحزب الحر الدستّوري سنة 1920م بمعية الزعيم المناضل عبد العزيز الثّعالبي(1876م-1944م)، والذي يعدّ عَلماً من أعلام الوطنية التونسية، فلطالما شاهد مفدي الزعماء الكبار من أمثال الباروني والرياحي وابن باديس والثعالبي وهم يلقون محاضرات وندوات تدور حول ترسيخ معاني الاعتزاز بالدّين الإسلامي والعمل على تحرير الوطن من أعدائه، وما من شك أنّ هذا الطفل الذكي كان يتتبع ما يجري في تلك اللقاءات من حوار وما يدور فيها من نقاش، فيطلع على الأحداث المريرة التي كانت تهز العالم الإسلامي في هذه الفترة ويسمع ذلك كله فيعيه ممّا ترك في شخصيته أثراً قوياً وظل مفدي يحفظ توجيهات الثعالبي الذي كان لا يفارق بيتهم، وظل يردد هذه الوصايا والتوجيهات في ملتقيات عديدة ومن ذلك قول الثعالبي المشهور(كفانا أن نحتفظ من ماضينا بالدّين والأخلاق وما عاداها فإلى الدمار إلى البوار[54]).

-لقد شكلت هذه العوامل(مناهضة الاستعمار ومعاداته، الدّين الإسلامي واللغة العربية، التاريخ العربي الإسلامي، البعثة الميزابية) ركائز أساسية قام عليها التّوجه الثّوري عند شاعر الثّورة الجزائري مفدي زكريا الذي كان يرفض أنصاف الحلول وينبذ فكرة السلم والمصالحة

مع أعداء الله والوطن، وكانت الشريعة الإسلامية السّراج الذي ينير دربه في كل ذلك فاعتنق مبدأ الثّورة وآمن بها ونادى بالنضال والمقاومة والتصدي للمستعمر تلبيةً وتنفيذاً لقوله تعالى:(**إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُم**)[55]، وقوله عزّوجلّ:(**وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّه**...)[56].

كل هذه العوامل إذا تضافرت وتداخلت لتشكل الفكر الثّوري عند مفدي فانصهرت في بوتقة شعره الذي تغنى فيه بالوطن والثّورة فقد كان قلمه سلاحاً ثورياً لا يقل أهمية عن سلاح المجاهدين في أعالي الجبال، فبالشعر استنهض الهمم وأوصل قضية الجزائر إلى خارج حدود الوطن وظل هذا الاتجاه الثّوري عند مفدي مبدأ لا يحيد عنه إلى أواخر أيام حياته،وقد صدع بهذا المبدأ في شعره مراراً وتكراراً.

-ولم يقتصر مفدي عمّا كان يتلقاه من المشايخ داخل البعثة بل تَنَقَّلَ بين المدارس التونسية من أجل التفقه في الدّين والاستزادة من علوم العربية لتعميق صلاته بالحضارة والدّين، وتشربت روحه مبادئ الوطنية التي كانت عاملا مشتركاً بين تلك المدارس على وجه الخصوص المعهد الخلدوني، ويعبر مفدي عن امتنانه وعرفانه بجميل تونس عليه وما زودته به بيئتها الثقافية والسياسية من معارف وتجارب[57]. فيقول:

أنا مـن قبسـت النـور مـن مشـكاتها وأنـرت مـن زيتونهـا القنـديلا[58]

- إنّ النّور الذي يريده الشاعر هو العلم والمعرفة اللذان أمدتهما به تونس، والزيتونة الذي جاء في الشطر الأخير يرمز إلى جامع الزيتونة الذي تلقى فيه العلم.

- بالإضافة إلى ذلك كان مفدي يحضر مسامرات الأستاذ "العربي الكبادي" بمدرسة الترجمة العليا بتونس، وقد جمعته صداقة حميمية خلال هذه الفترة من تكوينه بالشاعرين

"رمضان حمود" و"أبو القاسم الشّابي" وقد تأثر مفدي بالشّابي تأثراً كبيراً تجلى في شعره خاصّة في طريقة التّصوير الفني.[59]

– وإلى جانب كلّ ذلك فقد أثّر الجّو الوطني الحار الذي كانت تعيشه تونس في العشرينات ولا سيما بعد ح ع 1 في تغرير الشعور الوطني الثّوري عند مفدي فقد ألف النضال والمواجهة التي تميز بها الشّعب التونسي في تصديه للاستعمار، فقد عرفت هذه الفترة تصادما كبيراً بين القوة الوطنية والسلطة الاستعمارية، وتمثل ذلك في ردّ الشّعب على السّياسة التّعسفية، وخاصّة المثقفين الذين سخّروا أقلامهم لمحاربة الظّلم، فنشروا مقالات صحفيّة كان لها مطالبة بحقوقهم أو تنديدا بالتّعسف والظلم، وقد كان للصّحافة آنذاك دورها الفعال في الدّعوة الوطنيّة والنّضال[60].

– وفي أكثر من مرة في قصائده الشّعرية والمتمثل في "تحرير الوطن العربي" من الاستعمار ورفع رايته والاشادة بوحدته، وحدة التّاريخ والعرق، الدّين واللغة ووحدة الحدود الجغرافية لا يمكن أن يتحقق الا بالنّضال والتّمسك بالعقيدة والاعتزاز بالأصالة وتوحيد الجهود وغيرها من المبادئ التي خطها مفدي وحددها في شعره.

خاتمة:

❖ وفي ختام المقال نلحظ ممّا تقدّم فيه أنّ مفدي شخصية تاريخية عظيمة، فهو لم يكن شاعرًا فحسب بل كان سياسيًا ومناضلاً ثائرًا، غذّى بفكره الثوار وخلّد

الثّورة وهزّ كيان الاستعمار حتى لُقّب بشاعر النّضال السياسي والثّورة المسلحة، وما كتبناه عنه في سطور ليس الّا قطرة من بحر تاريخه النّضالي، ويمكن أن نوجز **النتائج المتوصل** إليها من الدّراسة فيما يلي:

1- إنّ الفكر الثّوري عند مفدي نابع من معادته للاستعمار بكل أشكاله وبمختلف تسمياته لذا سخر شعره ووهب حياته في سبيل محاربته وإدراك الحرية والاستقلال التي يراها حقًا من حقوق الشّعب، وقد ظلّ طيلة حياته ينادي باستقلال الجزائر والبلدان العربية والاسلامية وتوحيدها.

2- الدّين الاسلامي اللغة العربية، التاريخ الجزائري العربي الاسلامي هذه المقومات الثلاث ذات خصوصية عند مفدي زكريا، فقد شكلت ركائز أساسية في بناء فكره الثّوري.

3- لقد كان لمفدي زكريا كوطن ثائر وشاعر من شعراء المقاومة دوره النّضالي ورسالته الوطنيّة التي انعكست من خلال انضمامه لأحزاب التّحرير الرافضة للاستعمار ومشاركته في صفوف ثورة التحرير.

4- مثلت تونس الوطن الثاني لمفدي ففيها صقل موهبته الشعرية ونمى وعيه السياسي وقد ذكر فضلها وأثنى عليها في ديوانه "تحت ظلال الزيتون".

❖ ونظرا لقلة الدراسات حول الشاعر فإني **أوصي**بما يلي:

1- في اعتقادي أنّ مفدي كشخصية أدبيّة أو تاريخيّة عايشت الثّورة وعاشها لم يوفّ حقه من الدّراسة، لذا فإنّه من الجدير أن يحظى بعناية أكبر.

2- إذا كان الّشعر سجّل تاريخ الأمّة والشّاعر لسان حالها، فإنّ مفدي بذلك هو صوت الجزائر وصورة لثائر وشعره وثيقة تاريخية ترسم فيها معالم الثّورة وتؤرخ بها

أحداث تاريخية تجاوزت القضية الجزائرية إلى الدّعوة إلى الوحدة المغاربية العربية، لذا ينبغي مدارسة شعره وكشف السّتار عن المعالم التّاريخية فيه.

3- إدراج حياة مفدي السياسية وكفاحه في سبيل الحرية بشيء من التّفصيل في كتب التّاريخ المدرسيّة وفي مختلف الأطوار التّعليمية بما يناسب كل مرحلة، فعلى الرّغم من شهرته الأدبية إلّا أنّ الكثير يجهلون مسيرته النضالية ودعوته للوحدة العربية.

❖ وفي الأخير أتمنى أن يواصل الباحثون التنقيب والبحث في خبايا الأرشيف الجزائري وكذا التونسي ليكشفوا ما كان خفيًا من أعمال ونشاط هذه الشخصية التاريخية العظيمة.

الهوامش و الحواشي:

[1] -آسيا تميم، الشخصيات التاريخية(100شخصية التاريخية والفكرية)، دار المسك للنشر والتوزيع، الجزائر، دط،2008م، ص: 157. و: بلقاسم بن عبدالله مفدي زكرياء شاعر مجّد الثورة حوارت وذكريات، دار هومة، ط3، 2003م، ص:13.

[2] -حسن بوداودة وداود بورقيبة، مظاهر الوحدة الإسلامية من خلال آثار مفدي زكرياء أعمال الملتقى الدولي(مفدي زكرياء شاعر الوحدة)، مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، دط، مارس2006م، ص:386.

[3] -ينظر: محمد ناصر، مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة دراسة ونصوص، منشورات جمعية التراث، غرداية، الجزائر، ط3، 2014م، ص: 7-8.

[4] -ينظر: محمد ناصر، المرجع نفسه، ص:31.

[5] -محمد ناصر، مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة، ص: 170.

[6] - محمد ناصر، مفدي زكرياء، شاعر النضال والثورة، ص: 171.

[7]- مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، دار الأفق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت، ص:49

[8]- المرجع نفسه، ص:36

[9]- مفدي زكرياء اللهب المقدس، قصيدة (وتعطلت لغة الكلام)،موقع النشر، الجزائر، دط،2007م ص42،41.

[10] -ينظر: محمد ناصر، مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة، ص: 228-229.

[11] -مفدي زكرياء، الإلياذة، ص:21،20

[12]- جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج15، ط3، 1414هـ، ص:109.

[13]- أحمد بن فارس، مجمل اللغة لابن فارس، تح:زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج2، ط2، 1406هـ/1986م، ص:165.

[14] - معجم المعاني الجامع،معجم عربي عربي

[15]- مفدي زكرياء، للهب المقدس، ص35.

[16]-المرجع نفسه،ص:133.

[17]- مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص:100

[18]- المرجع نفسه،ص:41

[19]- مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص: 119.

[20] -الطيب ولد العروسي، أعلام من الأدب الجزائري الحديث، دار الحكمة، الجزائر، دط، 2009م، ص: 109.

[21] -فرانز فانون:(1925م-1961م) من المناضلين الأحرار الذين شاركوا في الجزائر، ولد بجزيرة المارتنيك الفرنسية التحق بالجيش الفرنسي سنة1944م ولاحظ فيه ميزة العنصرية، عين طبيبا نفسيا بمستشفى مدينة(البليدة) بالجزائر عام1954م وفي سنة1957م أعلن انضمامه للثورة الجزائرية، ساهم في تحرير مجلة (المجاهد) كما شارك في علاج الفدائيين ومثلَ الجزائر في مؤتمر"وحدة الشعوب الإفريقية" عام 1958متوفى سنة1961م ودفن بالجزائر تنفيذا لوصيته.

[22]–حسن فتح الباب، مفدي كرياء شاعر الثورة الجزائرية، ص:30.

[23] –مفدي زكرياءأمجادنا تتكلم (قصيدة صوت الجزائر)تح مصطفى بن الحاج بكير حمودة، مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، دط، 2003، ص141

[24] –مجلة الفكر، ع: 02، بتاريخ: نوفمبر1960م،ص: 20.

[25] –مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر،ص:72

*للمزيد من المعلومات راجع: مجلة الفكر، ع:02، نوفمبر1960م، ص: 19-20.

[26] –(عقيدة التّوحيد) هي مقال من خطبة طويلة ألقاها مفدي في الحفلة الافتتاحية للمؤتمر الرابع لطلبة شمال إفريقيا وقد نشرته(تونس الفتاة)، في عددها السّابع عشر الصّادر بتاريخ:09-08-1939م، وأعيد نشر بجريدة(الصباح التونسية) في عددها: 2985بياريخ 15مارس1962م.

[27]سورة آل عمران، الآية 110

[28]محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال والثورة، ص:48

[29]مفدي زكرياء، أمجادنا تتكلم، ص132

[30]مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص132

[31]مفدي زكرياء، اللهب المقدس(نشيد الانطلاقة)، ص:89.

[32]محمد ناصر، مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة، ص:23.

[33]–مفدي زكرياء، اللهب المقدس، نشيد الإنطلاقة، ص:90.

[34]– محمد صالح ناصر، التربية الإسلامية وأثرها في الحس الوطني عند مفدي، أعمال الملتقى الدولي(مفدي زكرياء شاعر الوحدة)، ص: 360.

[35]– محمد ناصر، مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة، ص:171.

[36]– المرجع نفسه، ص:241.

[37]مفدي زكرياء، أمجادنا تتكلم، ض: 63

[38]مفدي زكرياء، أمجادنا تتكلم، ض: 53

[39]مفدي زكرياء،إلياذة الجزائر، ص:69.

[40]المرجع نفسه، ص:69.

[41]مفدي زكرياء، أمجادنا تتكلم، ض: 143

[42] مفدي زكرياء، أمجادنا تتكلم، ص: 68

[43] مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص: 135

[44] مفدي زكرياء، أمجادنا تتكلم، ص: 143

[45]– (عقيدة التّوحيد) هي مقال نشرته(تونس الفتاة) مرجع سابق.

[46]– زكي مبارك، تكريم مفدي زكرياء بمناسبة صدور ديوانه من وحي الأطلس(1)، أعمال الملتقى الدولي(مفدي زكرياء شاعر التّحرر)، ص:202.

[47] – مفدي زكرياء، أمجادنا تتكلم قصيدة (خواطر كئيب)، ص: 58

[48] – المرجع نفسه، قصيدة (دموع وآلام وخواطر)، ص:61

[49]"عقبة بن نافع"، من أبطال الفتوحات الإسلامية، قاد سنة 670م أول جيش إسلامي لفتح شمال إفريقيا، أسس مدينة القيروان ، قتله الزعيم البربري((كسيلة))، سنة(63هـ)و"حيدرة"معناه لغوياً الأسد وهو كنية لعلي ابن أبي طالب أطلقته عليه أمه عند ميلاده.

[50]مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص:116

[51]–مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، ص:22

[52]محمد صالح الجابري، التّواصل الثّقافي بين تونس والجزائر، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان.ط1، 1990م، ص:122.

[53]ينظر: الجابري، المرجع نفسه، ص:122، ومحمد ناصر، مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة، ص: 41-42.

[54]محمد ناصر، المرجع نفسه، ص: 11.

[55]سورة محمد الآية: 07، ص: 507.

[56]سورة البقرة، الآية:218.

[57]-ينظر: محمد ناصر، مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة، ص: 198. وحسن فتح الباب، مفدي زكرياء شاعر الثورة الجزائرية، ص: 27-28.

[58]-مفدي زكرياء، تحت ظلال الزيتونة موفم للنشر، الجزائر، د.ط، 2007، ص: 161

[59]-محمد ناصر، المرجع السابق، ص: 9.

[60]-ينظر: محمد ناصر: المرجع السابق، ص:10-11.

قائمة المراجع:

1. القرآن الكريم
2. آسيا تميم، الشخصيات التاريخية(100شخصية التاريخية والفكرية)، دار المسك للنشر والتوزيع، الجزائر، دط،2008م.
3. بلقاسم بن عبدالله، مفدي زكرياء شاعر مجّد الثورة حوارت وذكريات، دار هومة، ط3، 2003م.
4. حسن بوداودة وداود بورقيبة، مظاهر الوحدة الإسلامية من خلال آثار مفدي زكرياء أعمال الملتقى الدولي(مفدي زكرياء شاعر الوحدة)، مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، دط، مارس2006م.
5. ينظر: محمد ناصر، مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة دراسة ونصوص، منشورات جمعية التراث، غرداية، الجزائر، ط3، 2014م.
6. مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، دار الأفق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت.
7. مفدي زكرياء اللهب المقدس، قصيدة (وتعطلت لغة الكلام)،موقع النشر، الجزائر. ص42،41.
8. جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج15، ط3.

9. أحمد بن فارس، مجمل اللغة لابن فارس، تح:زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج2، ط2، 1406هـ/1986م.
10. معجم المعاني الجامع،معجم عربي عربي
11. الطيب ولد العروسي، أعلام من الأدب الجزائري الحديث، دار الحكمة، الجزائر، دط، 2009م.
12. حسن فتح الباب، مفدي كرياء شاعر الثورة الجزائرية.
13. مفدي زكرياء،أمجادنا تتكلم ،تح :مصطفى بن الحاج بكير حمودة، مؤسسة مفدي زكرياء، الجزائر، دط، 2003.
14. مجلة الفكر، ع: 02، بتاريخ: نوفمبر1960م.
15. محمد صالح ناصر، التربية الإسلامية وأثرها في الحس الوطني عند مفدي، أعمال الملتقى الدولي(مفدي زكرياء شاعر الوحدة).
16. (عقيدة التوحيد) هي مقال من خطبة طويلة ألقاها مفدي في الحفلة الافتتاحية للمؤتمر الرابع لطلبة شمال إفريقيا وقد نشرته(تونس الفتاة)، في عددها السابع عشر الصادر بتاريخ:09-08-1939م، وأعيد نشر بجريدة(الصباح التونسية) في عددها: 2985بياريخ 15مارس1962م.
17. زكي مبارك، تكريم مفدي زكرياء بمناسبة صدور ديوانه من وحي الأطلس(1)، أعمال الملتقى الدولي(مفدي زكرياء شاعر التّحرر).
18. محمد صالح الجابري، التواصل الثقافي بين تونس والجزائر، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان.ط1، 1990م.
19. مفدي زكرياء، تحت ظلال الزيتونة موفم للنشر، الجزائر، دط، 2007.